كلمة الحياة

أيلول/ سبتمبر 2023

"في كُلِّ يَوم أُبارِكُكَ وأَبدَ الدُّهورِ أُسَبِّحُ اسمَكَ" (مز 145 [144]، 2)

كلمةُ الكتابِ المقدّس المقتَرَحَة علينا هذا الشهر بهدف مساعدتِنا في مسيرتِنا هي بحدّ ذاتها صلاة. إنّها آية مأخوذَة من المزمور 145، والمزامير مؤلَّفات تعكِس الاختبار الدينيّ الفرديّ والجماعيّ لشعب إسرائيل في مسارِه التاريخيّ وفي حياتِه المليئة بالأحداث والاضطرابات. ترتفع هذه الصلاة الشِعريّة إلى الربّ على شكل رثاء ودعاء وشكر وتسبيح. وإنّ تَدَفُّقُ النَفَسِ فيها يحوي كلَّ أنواع المشاعر والمواقف التي يعبّر بها الإنسان عن حياتِه وعلاقتِه بالله الحيّ.

الموضوع الأساسيّ للمزمور 145 هو مُلكُ الله. فإنّ كاتبَ المزمور، انطلاقًا من خبرتِه الشخصيّة، يُشيد بعظمة الله: "الرَّبُّ عَظيمٌ ومُسبَحٌ جِدًّا" (آية 3)؛ ويعظِّم رأفتَه وشموليّةَ محبّتِه: "الرَّبُّ يَرأَفُ بِالجَميع ومَراحِمُه على كُلِّ أَعْمالِه" (آية 9)؛ ويعترف بأمانَتِه: "الرَّبُ أَمين في كُلَ أَقْوالِه وبارٌّ في جَميعَ أَعمالِه" (آية 13ن)؛ ويذهب إلى حدِّ شمَلَ به كلَّ كائن حيّ في ترنيمة كونيّة قائلًا: "كلُّ ذي جَسَدٍ يُبارِكُ اسمَه القُدُّوس مَدى الدَّهرِ وللأبد" (آية 21).

"في كُلِّ يَوم أُبارِكُكَ وأَبدَ الدُّهورِ أُسَبِّحُ اسمَكَ"

ومع ذلك، يشعر الإنسان المعاصر أحيانًا بأنّه ضائع ومتروكٌ وشأنَه. يخشى أن تكون الصدفة هي المسيطرة على حياتِه اليوميّة في سلسلة من أحداث متتالية ليس لها معنى ولا هدف.

إنّ هذا المزمور يحمل لنا إعلانًا يبعث الرجاء والطمأنينة: "الله هو خالق السماء والأرض، وهو الحارس الأمين للعهد الذي يربطه بشعبه، وهو الذي يُنصِفُ المظلومين، ويُعطي الخبزَ الذي يسنُدُ الجائعين، ويُطلقُ المسجونين. هو الذي يَفتحُ عيونَ العميان، ويُنهِضُ مَن سقط، ويُحبُّ الأبرار، ويَحمي الغريب، ويَنصُر اليتيمَ والأرملة" [...][1].

"في كُلِّ يَوم أُبارِكُكَ وأَبدَ الدُّهورِ أُسَبِّحُ اسمَكَ"

[1] يوحنّا بولس الثاني، المقابلة العامّة، 2 تمّوز/ يوليو 2003، تعليق على المزمور 145.

تدعونا هذه الكلمة بشكل خاصّ إلى الاعتناء بعلاقتنا الشخصيّة بالله، مستقبلين محبَّتَه ورحمتَه بدون تحفّظ، وواضعينَ أنفسَنا أمام سرِّهِ في وضعيّةِ الإصغاءِ لصوته. هذا هو الأساسُ لكلِّ صلاة. ولكن بما أنّ هذه المحبّة لا تنفصلُ أبدًا عن محبّةِ قريبنا، فنحن عندما نقتدي بالله الآب في محبّتِنا الملموسة لكلّ أخ وأخت، وبخاصّة المهمّشين منهم والمنبوذين والمُنعَزلين، سوف نتوصّل عندئذٍ إلى إدراك حضورِهِ يومًا بعد يوم في حياتنا. دُعيَتْ كيارا لوبيك إلى إعطاء خبرتِها المسيحيّة أمام مجموعة من البوذيّين، فلخصَّتْها على هذا النحو: "...إنّ صميمَ اختباري موجودٌ كلُّه هنا: كلّما أحببنا الإنسان، أحببنا الله. وكلّما أحببنا الله، أحببنا الإنسان"[2].

"في كُلِّ يَوم أُبارِكُكَ وأَبدَ الدُّهورِ أُسَبِّحُ أسمَكَ"

ولكن هناك طريقة أخرى لإيجادِه. في العقود الأخيرة، اكتسَبَت البشريّة وعيًا جديدًا للمشكلة البيئيّة. وشكّل عنصر الشباب بوجه خاصّ المحرّكَ لهذا التغيير. فهؤلاء الشبّان يقترحون أسلوبَ حياة أكثرَ اعتدالًا ورصانة من خلال إعادة التفكير في نماذج التنمية، والالتزام بحقِّ جميعِ سكّانِ الكوكب في الحصول على الماء والغذاء والهواء النقيّ، والبحث عن مصادر الطاقة البديلة. وبذلك لا يستعيدُ الإنسان علاقتَه بالطبيعة فحسب، بل يمكنه أن يسبِّحَ الله أيضًا بعد اكتشافه لمدى حنانه تجاه الخليقة كلِّها.

إنّه اختبار "فونان" .Venant M الذي اعتاد منذ طفولته في بلده بوروندي أن يستيقظَ على زقزقةِ العصافير، وكان يجتازُ عشراتِ الكيلومترات عبر الغابة ليذهبَ إلى مدرسته. كان يشعر بتناغم كبير مع الأشجار والحيوانات والسواقي والتلال ومع رفاقه، وبقربِ الطبيعة منه، وبأنّه جزءٌ حيٌّ من نظام بيئيّ تعيش فيه المخلوقات في تناغُم كامِل مع الخالق. وكان إدراكُه هذا يتحوّل إلى تسبيح، لا للحظة فقط، بل طَوالَ النهارِ كلِّه.

قد يتساءل البعض عن حال مُدُنِنا. "في عواصمِنا الإسمنتيّة، التي شيّدَتْها يدُ الإنسان وسط صخب العالم، نادرًا ما يتمُّ الحفاظُ على الطبيعة. ومع ذلك، يكفينا، إذا أردنا، أن نختطفَ لمحةً من السماء الزرقاء بين قِمم ناطحات السحاب لنتذكّرَ الله؛ يكفينا شعاعُ شمس قادرٌ أن يتوغّل بين قضبان السجن؛ تكفينا زهرةٌ أو مرج؛ يكفينا وجهُ طفل..."[3].

إعداد أوغستو پارودي رايس ولجنة كلمة الحياة

---

[2] *M. Vandeleene, Io, il fratello, Dio nel pensiero di Chiara Lubich, Città Nuova, Roma 1999, p. 252.*

[3] C. Lubich, *Conversazioni, in collegamento telefonico*, a cura di Michel Vandeleene (Opere di Chiara Lubich 8.1; Città Nuova, Roma 2019) p. 340.